



و للروح ارتواء

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

3 رجب 1445 هـ

قالها يوسف -عليه السلام- في الفصل الأخير من
فصول قصته، والتي جرت فيها أحداث عظام، من
يعيشها في تلك اللحظة يشعر أنه ليس هناك أي
معنى ولا رابط لهذه الأحداث، منذ البداية حينما
رمي في البئر، إلى أن تأمر عليه إخوانه، إلى أن
استرقق وأصبح عبداً، رقيقاً، مقهوراً، من يد إلى يد،
إلى أن وصل إلى بيت العزيز.

في ختام هذه الأحداث، وفي لحظة العز والتمكين
ليوسف -عليه السلام- قال: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ، ما الذي حدا بيوسف أن
يختم هذه الرحلة من الأحداث المتتالية، والمؤلمة،
والتي لم تكن مفهومة أبداً، بهذا الاسم من أسماء
الله -عز وجل-،

وهذه الصفة: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ}

يوسف:100

تسمى سورة يوسف: سلوى المحزون وجبر المصاب،
لأنه ما من إنسان إلا وتمر به كتلك الأحداث من
الحياة، ما بين سراء، وضراء، و ما بين حزن، وفرح.

هنا يأتي هذا السؤال المهم، والذي يسأل كل
إنسان منا نفسه، ما الذي يجعل الإنسان
يتماسك في الفترات المؤلمة والصعبة؟ ما
الذي يجعل الإنسان يثبت حينما لا يثبت
الناس؟



إذا أردنا جواباً عاماً لهذا السؤال فهو موجود
في كلمة واحدة فقط: **الإيمان بالله**.
وسندندن في درسنا هذا بمفهوم دقيق في
وسط هذا الإيمان بالله، وهو قضية لطف الله
بعباده في لحظة المصيبة.



لنأتِ إلى هذه الصفة من صفات الله -عز وجل-،
عندما نقول: **لطيف**، فهو اسم من أسماء الله
-عز وجل-، ولكن ماذا يعني اللطيف؟

**اللطيف في اللغة هو: البر، والحفاوة، والإكرام،
والعلم بدقائق الأمور**

إذاً ما فرق أسماء الله -سبحانه وتعالى-:-
الكريم، والرحيم، والجواد، والمحسن، عن اسمه
اللطيف؟ وجميعهم فيهم من معاني الحفاوة
والإكرام؟ الذي يفرق عنهم أن اسم الله
اللطيف فيه معنى: **النعم الخفية**، و النعم
**الخفية هي تلك التي تأتي وتمر مثل النسمة
الباردة على قلبك المكدود.**

حينما علم الله -عز وجل- بدقائق أمورك
فهو يعرفك أنت، ويعرف شخصيتك،
ويعرف مشاعرك، ويعرف ما تتحملة، و
ما لا تتحملة، فيأتيك البر، والحفاوة،
والإكرام، على شكل هذه النعم
الخفية، ولذلك هذا سر من أسرار اقتران
اسم الله اللطيف باسم واحد فقط في
القرآن وهو: **الخير؛ لأن الله -عز وجل-**
خير بك، وبدقائق أمورك، لطيف بك،
فما اقترن اسم الله عز وجل اللطيف إلا
باسم **الخير، ودائما ما يأتيون معًا.**

ولذلك دائما نقول أنه لو انكشف ستار
الغيب لما تمنيت غير المكتوب، أياً كان
المكتوب.

والبلاء موجه، لكن عندما تنظر إلى
ألطاف الله عز وجل ترى أنه كان
يصنعك، ويربيك، وكان يلف بك من
حيث لا تعلم.

وتعالوا نرى إلى لطف الله -عز وجل- في أخذه،
ولطفه في عطائه. يمكن للإنسان الموجه، أو
المصاب، والذي فقد هذا العزيز والغالي أن
يقول: أين من الممكن أن يكون اللطف في
هذا الأخذ؟ ولكن يقول النبي -عليه الصلاة
والسلام- في الحديث القدسي:

(ما لعبي المؤمن عني جزاء، إذا قبضت صفيّه
من أهل الدنيا ثم احتسبه، إلا الجنة)

ترى ما معنى كلمة صفيه؟ لاحظ لم يقل:
أخوه، أبوه، أمه، حبيبه، قال: صفيه!

الصفّيّ: لما نقول العسل المصفي، صفي
الروح.

فيقول (ما لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا
قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا

الْجَنَّةُ)

إِلَّا الْجَنَّةُ!

هذه لم تأتِ إلَّا في الحج، قال -صلى الله عليه
وسلم-: (الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)،
أنت في بيتك تأخذ هذا الجزاء لمجرد احتساب
هذا الصبر لهذا العزيز أو الغالي.



وانظر إلى لطف الله -عز وجل- حينما يسأل من
فوق سبع سماوات عن لحظة الفقد الموجه
التي أصبت بها، ويعلم الله -عز وجل- عن صعوبته
هذا الفقد حتى و لو كان ممهداً، مهما كان
هذا الشخص متعباً، ومهما كنت تنتظر وفاته، أو
أيا كان.

هذه اللحظة لا شك أنها موجهة، لحظة الفقد
هي عند الله بمقدار.

و عندما تكون أنت مَجُوعاً، أو مَصَابِياً، قد لا
يعني لك هذا الحديث شيئاً، ولكن حين نعلم أننا
جميعاً عبارة عن أرقام مؤجلة لا أكثر ولا أقل،
وكلنا عندنا أجل، وهذا الأجل كُتِبَ في اللحظة
التي ولدنا فيها، ولكن من رحمة ربي ولطفه
أننا لا نعرف هذا اليوم، وأُمرنا بالإعداد له فقط.



وتقول أين اللطف؟ أين لطف الله عز وجل بنا

في هذا الأخذ؟

لطف الله -عز وجل- بنا فيما قاله مثلاً الفضيل بن عياض حينما رأى رجلاً مكلوماً على ابنه، دفن ولا يزال يجد عليه وجادة في قلبه، فعزوه الناس فلم يتسلى، فجاءه الفضيل بن عياض وقال له: يا هذا أرأيت لو أنك أنت وابنك في سجن فأفرج عن ابنك قبلك؟ فهل تحزن أم تفرج؟ قال: بل أفرج. قال: فإن ابنك قد خرج من سجن الدنيا.

تخلوا كيف يلبس هؤلاء الناس النظارة التي

ترى المشهد بشكل صحيح!

ولذلك في الحديث أن:

(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ).

أبو ذر -رضي الله عنه- لم يكن يعيش له ولد،
فكلما ولد له ولد مات، فقيل له إنه لا يعيش
لك ولد، يعني ابتلاء ومصاب أنه لا يعيش لك
ولد. قال:

”لا! لقد لطف الله بي إذ حولهم من دار الفناء،
وادخرهم لي في دار البقاء.“

وجودنا في الدنيا وجود مؤقت لا أكثر ولا أقل،
ولذلك يشعر الإنسان أن هذا الوجود لا يجب أن
نعطيه أكبر من حجمه لأننا جميعاً على سفر.

نرجع مرة ثانية، ونقول: وأين لطف الله؟

انظر إلى لطف الله كيف يحاوطك من كل مكان. لطفه في السؤال عنك، لطفه أصلا في كتابة ما يصلحك أنت، لطف الله -عز وجل- في تقدير حجم المصاب، وأيضا لطفه فيما يصيبك أنت من هم وحزن.

واسمع لقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث اللطيف، هذا الحديث الحنون، حينما يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

(مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ).

وانظر أيضا إلى لطف الله -عز وجل- في عظام

المقادير التي تستبعتها أكثر العقول، ولا تظن

أنها هي باب للخير،

فإذا أراد الله -عز وجل- أن ينصرك

يأتيك النصر من الباب الذي ربما لم تتخيل أن

ينقذك الله -عز وجل- منه،

وقد يأتيك الكرم، واللطف، والجود،

من الشخص الذي لم تكن تأمل فيه خيراً، وهذا

من لطف الله -سبحانه وتعالى-، ولذلك فإن الله

-عز وجل- إذا أراد أن يصرف عنك سوء مثلاً، وأن

يلطف بحالك،

ويعرف أن هناك ذنباً معيناً قد لا تقاومه -وهو
سبحانه الذي يعرف بدقائق أمورك، ويعرف
قدرتك وإرادتك- يصرف عنك هذا السوء،
ولا يضعك أصلاً في موضع الاختبار، ولا في
موضع الفتنة.



ومن لطف الله -عز وجل- أنه إذا أراد أن يعصمك من معصية، وأراد أن يلف بك بجمعك تتركها، يفضها لك، ويكرها لك، ويصعبها عليك، فتراها أمامك وتشعر بأنك لا ترغب في فعلها، وهذا أيضا من لطف الله -عز وجل- بك، أن لا تأتي الدنيا على ما تهواه، وأن لا تأتي على الوفق التي أنت مخطط لها، وإنما الله -عز وجل- هو الذي يدير أمرك وحياتك.

ولما أراد الله عز وجل ليوسف أن يخرج من

السجن ما كانت بأحداث عظام،

وإنما أرى الملك تلك الرؤيا،

فلما رآها تذكر ذاك الإنسان الذي يفسر، فذهب

إلى يوسف -عليه السلام- و انتهت القصة. إذاً

نصر الله -عز وجل-، ولطفه، لا تعلم من أين

يمكن أن يأتيك. ولذلك كان يقال: كم في

الخبايا من عطايا، فكم في أشياء خفية تمر

عليك من الأحداث، وفيها من عطايا الله -عز

وجل- التي لا تعرف.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ
اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}

الحج:63.

هل رأيت هذا المشهد؟ لماذا جاء اسم
اللطيف، وأخبر الله -عز وجل- أنه خير
بعباده في هذا الموطن؟ لأنه إذا أتاك
لطف الله -عز وجل- فأنت إنسان آخر،
ولا تعلم أن المطر الذي يسوقه الله
-عز وجل- إلى قلبك قد يكون المصيبة
التي كرهتها، فتكون فيها حياة قلبك.
قد تكون الضائقة التي مررت بها، هي
ربيع قلبك،

وما كان يمكن لقلبك أن يحيى لو ما سار هذا
المنعطف الحاد في حياتك. وقد يكون الله
يمهدك لأمر أعظم، ومرتبة أعلى، ولذلك النبي
-عليه الصلاة والسلام- يقول:

(إِنَّ الرَّجَلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ ، فَمَا يَلْفُهَا
بِعَمَلٍ ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يُبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ يُبَلِّغُهُ إِيَّاهَا) ،
عندك منزلة عليا مع الأنبياء، والصديقين،
والشهداء، ولا تشعر أنك تعمل لها عملها، لكن
الله ابتلاك فرضيت، وصبرت. هذا الرضا، والصبر،
يرفعك في مقام العليين، ويجعلك في مقام
الأنبياء، والشهداء، والصالحين.

ولذلك من لطف الله عز وجل أنه يلفظ بقلبك
ويسوق له المطر على هيئة ما تكره، ويقول الله عز
وجل وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى
أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم أو العكس.

يقول ابن القيم: يتلي الله - عز وجل - عباده
بالمصائب، ويأمرهم بالمكاره، وينهاهم عن
الشهوات، وكل ذلك هي طرق توصلهم إلى
سعادة العاجل، والآجل، وقد حفت الجنة
بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:
(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ
لِلأَخِدِ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا
لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)

ومن ضمن اللطف

وهذا ملحظ خفيف ولطيف، لكنه مهم جدًا!

أن تعامل الناس باللطف، فالله رحيم يحب
الرحماء، و كريم يحب الكرماء، ولطيف -جلّ
جلاله- يحب اللطفاء؛ فالله يُحب الذين يتشبهون
بصفاته. ولذلك إذا استطعت أن تتلطف مع
الناس فتنتقي أحسن الكلمات، فالكلمة ممكن
أن تكون مؤلمة، وموجعة، أنت تنتقي الأحسن،
والألطف، والتي لاتجرح، وتعرف أنها لن تؤخذ
بمحملي آخر.

ومن اللطف أيضاً: أن تجبر الناس، تجبر خواطرهم،

لذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- على ثواب من

عزّي مسلماً:

(ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبة، إلا كساه الله

سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة)

أخرجه ابن ماجة وقال الألباني حسن

ولذلك من لطف يوسف -عليه السلام- أنه حين

قال لإخوانه في النهاية،

في قول الله -عز وجل-:

{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي...}

يوسف:100.

لم يقل أخرجني من البئر الذي رميتوني فيه.

يوسف -في تلك اللحظة- وهم للتو جددوا عليه الجرح

،قبلها بأيام

في قول الله عز وجل: {قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ

قَبْلِ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُنْدِهَا لَهُمْ...}

يوسف:77

جرحوه مرة أخرى، مع ذلك حين تمكن قال: {وَقَدْ أَحْسَنَ ،

بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ

إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}

يوسف:100

الشيطان هو الذي نزع! فتخيل اللطف في ذلك.

إِذَا لَوْ أَرَدْنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَمَ بِأَسْرَعٍ طَرِيقَ إِلَى مَعِيَةِ
اللَّهِ، وَلَطْفِهِ، وَعَطْفِهِ، وَنَصْرِهِ، مَا هُوَ الشَّيْءُ
الَّذِي نَسْتَطِيعُ فَعْلَهُ؟ أَنْ تَتَعَبِدَ اللَّهُ بِشَرْعِهِ. اِبْحَثْ
عَنْ شَرْعِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَانظُرْ إِلَى أَيِّ دَرَجَةِ أَنْتِ
تَطْبِقُهُ فِي نَفْسِكَ؟

هذا هو الواجب الحياتي،
وهذه هي مهمة العمر!



انظر إلى تكاليف الله -عزّ وجل- وأوامره. وابتح
عما ينقصك وانظر إلى ما يحتاج إلى ترميم.
وانظر في المقابل الآخر إلى نواهي الله -عزّ
وجل- وحرماته، وحاول أن تنظفها تمامًا،
وتطهرها من حياتك. حاول "أن تتعبد الله عزّ
وجل بشرعه، وأن تعيش مع كلامه، وأن تستن
بسنة نبيه".



ومن أسرع الطرق أيضاً لمعية الله -عز وجل- ولطفه أنك تضع هذا المفهوم
حاضراً في ذهنك:

{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}

الحج:63،

وتستحضر قول الله -عز وجل-:

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)}

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}

الزلزلة:7،8.

اجعلها دائماً حاضرة، فتحاسب نفسك
وتراقبها. لأنك إذا علمت أن الحساب
يوم القيامة على مئاقيل الذر، وإذا
علمت أن الله لطيف وخبير بهذه
الدقائق فأعدّ للسؤال جواباً.

ومن لطف اللطيف أن يغفر لك كل
ما مضى بلحظة توبة واحدة ولذلك:
**“الحيلة يسيرة، أصلح فيما بقي
يغفر لك ما مضى.”**



لنصل إليكم... ونشارككم
روابط البث المباشر للدرس الأسبوعي
المواد الإثرائية والملخصات
نأخذ مشاركتكم
ونستمع لآرائكم النيرة وأكثر...
يمكنكم الاشتراك بقناة التليجرام لمدونة رواء

<https://t.me/rawaablog>

كما يمكنكم متابعتنا من خلال مدونة



و للروح ارتواء

<https://rawaa.org/>